الهوية الإسلامية في القرآن

أنعم الله عز وجل على الإنسانية بأن خلقها من العدم، وملأ حياتها بأكرم النعم، وقال عنهم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وكما أكرمهم في وجودهم وأجسادهم وبيئتهم فلم يخلقهم عبثًا، بل أرسل لهم رسله عليهم السلام ليخبروهم عن سبب وجودهم في الأرض، ويعلموهم هويتهم، وحقيقة الوجود حولهم، فقال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

وتتابعت الرسل ينقذون البشرية من الجهالات والضلالات، فقال ربنا عن ذلك: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ﴾ [المؤمنون ٤٤].

وهنا نطرح سؤالين محددين:

ما اسم المعبود الذي دعا إليه الرسل؟

وما اسم الدين ارتضى هذا المعبود أن يدين به الناس، فيتبعون نظمه، ويقيمون شرائعه؟

لا يعقل أن يختلف الرسل في اسم المعبود الذي دعوا إليه مهما اختلفت لغاتهم، وتباينت أماكنهم، وتغايرت أزمانهم، فنحن نرى أن اسم الواحد منا يبقى كما هو عند الترجمة، وإنما يحدث فيه تغير محدود عند فقد بعض الحروف من لغة إلى لغة، وأولى من ذلك أن يكون اسم المعبود الذي دعت إليه الرسل واحدًا، وقد أخبرنا الله في القرآن أن الرسل دعوا إلى معبود واحد اسمه (الله) تعالى شأنه، فقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦] .

بقي لنا السؤال الثاني: ما اسم الدين الذي ارتضاه الله، وجعله هوية للذرية الآدمية؟

تبرز لنا الإجابة واضحة كالشمس في القرآن المجيد، حيث يحدد الله اسم الدين الذي ارتضاه للإنسانية، فيقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

إنه الهوية التي جعلها الله تصبغ الحياة البشرية.

هذه الهوية هي جواز الفوز الحقيقي في الآخرة.. ففي تنبيه شديد يخبر الذين يدعون دينًا غير الإسلام بأنه لا يقبل منهم.. نعم! لن يعاقبهم في الدنيا على اختيارهم، لكن مصيرهم في الآخرة مخيف.. إنها الخسارة لكل ما جمعوه وادعوه وتزينوا به ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

هذا يعني شيئًا واحدًا: لا يمكن لاسم الدين الذي ارتضاه الله أن يختلف بتعدد الأنبياء، أو تعدد اللغات.

لا تبتعد عن وعي هذه البصيرة القرآنية العظيمة.

القرآن يمتلئ بذكر هذه الحقيقة للناس: حقيقة أن الدين الذي ارتضاه للبشرية هو الإسلام.. إنه الدين الذي أمر به آدم، وجاء به نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب والأسباط، وجميع الأنبياء.

ينير القرآن المجيد عقول البشر بأن الإسلام هو الدين الذي دان به إبراهيم عليه السلام، ودعا إليه أبناءه:

يقص الله علينا القصة بتفصيل عظيم حتى لا يزور التاريخ:

في هذه القصة تجد إبراهيم عليه السلام يشيد قبلة التوحيد في الأرض في المكان المركزي الذي جعل الله فيه أول بيت وضع للناس.. يرفع إبراهيم قواعد البيت بيده، ويختص إسماعيل من ذريته ليعينه ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وانظر للجمال القرآني المبهر، فقد جاء لفظ المضارع ﴿يَرْفَعُ﴾ ليجعلك تستحضر قصة كأنك تراها على الهواء مباشرة، وهناك يسأل الرسولان العظيمان الله جل مجده أن يغمرهما بفيض نعمه، فيتقبل منهما ما أمرهما به ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

ماذا حدث بعد ذلك؟

لقد كان أول سؤال طلبه إبراهيم عليه السلام أن تكون هويته الإسلامية لفظًا ومعنى دون تغيير أو تردد، ولم يبطئ إسماعيل فردد مع أبيه أو بعده، فقالا: { ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، والإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد والخضوع وطلب السلام في الدنيا والآخرة.

وماذا كان ثاني هذه الأدعية المبتهلة؟

ثاني هذه الأدعية أن تكون ذريته أمة مسلمة، فشمل ذلك أبناء إسماعيل وأبناء إسحاق، لكن إسماعيل لم يكتف بدعاء أبيه، بل كرر دعاء أبيه أو سأل ذلك في وقتٍ واحدٍ مع أبيه، وحكى الله لنا قولهما بدقة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

يا أبناء إبراهيم: هذا دعاء أبيكم إبراهيم، فلم ترغبون عن ملته؟ لم تتخذون هوية غير الهوية التي اختارها إبراهيم.. لا يفعل ذلك إلا سفيه خفيف العقل مضطرب الفكر ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]، ومعنى ﴿سَفِهَ﴾: خف عقله واضطرب.

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com

لماذا اصطفى الله إبراهيم عليه السلام؟ هل ليكون إبراهيميًّا على اسمه؟

كلا! بل لأنه جعل الهوية الإسلامية روحه وحقيقته واسم دينه، وحركة حياته ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

قد يحتج بنو إسرائيل، ويقولون: الإسلام هوية أبناء إسماعيل لا أبناء إسحاق ويعقوب، فنقول لهم: مهلًا! لا تكذبوا على أنفسكم.. فالهوية الإسلامية هوية إسماعيل وإسحاق، وهي هوية يعقوب.. لقد جمع إبراهيم عليه السلام بنيه، كما جمع يعقوب بنيه، وكانت أعظم وصية لذريتهما أن تكون هويتهم الإسلام حتى الممات، ويحدثنا الله عن هذه الاستقامة الإبراهيمية اليعقوبية على الإسلام، والحرص على نقل ذلك لذريتهما، فيقول: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

لكن يعقوب أخذ موقفًا متميزًا، فقد أوصى بنيه بأن تكون هويتهم الإسلام، وكرر ذلك عند موته، وحاور أبناءه ليفقهوا عنه.. حاورهم لئلا يحرفوا كلامه. يقص الله علينا هذا المشهد المؤثر، ويصور لنا يعقوب وهو يتحدث مع أبنائه في كلماته الأخيرة، فيقول: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

هل وقف الأمر عند هذا الحد؟

كلا! لقد تواصل بناء الهوية الإسلامية للبشرية.. ها هو ربنا -جل مجده- يذكر للعالم حقيقة الملة الإبراهيمية.. ها هو ربنا -تعالى مجده- يرد بصورة حاسمة على من يحاول تزييف الملة الإبراهيمية، فيقول: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، ويرد الله عز وجل على من يلعب بثوب إبراهيم عليه السلام فيدعي أنه كان

يهوديًا أو نصرانيًا أو مشركًا، فيقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

وهنا ينزل على العالم بيانًا واضحًا بحقيقة أن الأنبياء وأتباعهم كلهم مسلمون، فيقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

والأسباط هم أبناء يعقوب، وفي العبارة حذف، والمعنى: أنبياء الأسباط الذين هم قبائل بني إسرائيل التي ترجع إلى أبنائه كما قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

ويظهر لك مدى تسامي الإسلام ومجده، فعلامته المميزة عدم التفريق بين الأنبياء ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وهذه الجملة استئنافٌ نشأ عن سؤال متعصب ضال: كيف تؤمنون بجميعهم؟ فأكثر أصحاب الملل يعتقدون أن الإيمان برسول أو بمجموعة من الرسل لا يتم إلا مع الكفر بغيرهم، وهذا الفهم الخاطئ كان شائعًا في الأمم، فاقتلعه الإسلام.

لماذا كانت الهوية البشرية في القرآن إسلامية؟

لأن المسلم يعني الخضوع، والاستسلام، والانقياد، والأمن والطمأنينة والسلام.. هنا تعلم: لماذا فاخر الأنبياء بأنهم مسلمون، ودعوا الله أن يثبتهم على الإسلام إلى ملاقاته.

ها هو نوح عليه السلام يثبت الهوية الإسلامية لنفسه، ويعتز بها، فيقول لمشركي قومه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢].

ولوط من أقرباء إبراهيم عليهما السلام يخبر الله عن هويته ومن آمن من أهل بيته، فيقول: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦].

وها هو يوسف عليه السلام يسأل ربه أن يستقيم على الإسلام حتى يموت، فيقول: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

وها هو موسى عليه السلام يوصي المؤمنين من قومه بالتوكل على الله إن صدقوا في اتباعهم الإسلام، ويصور الله لنا ذلك، فيقول: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وربما تسأل: وهل دعا موسى عليه السلام إلى الإسلام؟

وأجيبك: هل تظن أن الله عز وجل بعث موسى عليه السلام بغير الإسلام، وأنت تشعر بقوة دعوة موسى إلى الإسلام عندما ترى القرآن يصور لك منظر فرعون وهو يحاول أن يتوب في اللحظات الأخيرة، فلا يجد شيئًا يظن أنه يمكن أن ينجيه من الغرق إلا التظاهر بالإسلام، فيقول: ﴿ءَامَنتُ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

وسليمان عليه السلام يدعو شعب سبأ إلى دينه، وماذا يسمى دينه؟ الإسلام، وما هوية أتباعه؟ المسلمون، فيقول الله عز وجل عن كلام سليمان عليه السلام لأهل سبأ: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]، ويعتز سليمان عليه السلام بإسلامه وإسلام أتباعه قبل إسلام ملكة سبأ وقومها، فيقول: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢]، ولم تجد ملكة سبأ من سبيل لتعبر عن دخولها الصريح في دين سليمان عليه السلام إلا إعلان الإسلام، فيقول الله عز وجل عنها: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

أما عيسى عليه السلام فقد بشَّر أتباعه بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.. أخبرهم باسمه صلى الله عز وجل عليه وآله وسلم، ولما حكى الله عز وجل عنه أنه أخبرهم باسمه أكمل ذلك بالتحذير لأتباع المسيح عليه السلام لئلا يكذبوا على أتباعهم ويزوروا الحقائق، وينسوا اسم الدين الذي يمثل هوية

البشرية، فقال جل ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

ويفاخر أتباع عيسى عليه السلام بأنهم مسلمون، وأشهدوا الله عز وجل على كلمتهم كأنهم يحذرون أتباعهم من بعدهم من تحريف هذه الكلمة، ويصور الله عز وجل لنا ذلك، فيقول: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

نحن ندعو الآخرين للحوار الصادق، وسواء استجابوا أم لا فإننا نخبر العالم بهويتنا الحقيقية لا المزيفة: إنها الإسلام ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]

الإسلام يقتضي الاستسلام والطمأنينة بالانقياد لله، وليس بالعبودية للمخلوقات ولو كانوا ملائكة أو أنبياء، واسمع لربنا ينبئنا بذلك، فيقول: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠].

ولقد كان من أعظم الوصايا النبوية التي يرددها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في خطبه آية مشابهة لوصية يعقوب يوصي بها أمته: إنها الوصية بالإسلام، وليس بالعقيدة القرشية أو العربية، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يردد في خطبه﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

إننا نهتف مع شاعر الجزائر العظيم محمد العيد آل خليفة عندما رأى الدكتور الفرنسي (علي سليمان بنوا) أسلم، فقال:

زفــت إليــك عــرائس الإلهــام فطرحــت عنــك بــوالي الأوهــام

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com

وبحثت في الأديان بحثا منصفا ... فجنحت بعد البحث للإسلام
هذا هو الكنز الدفين كشفته ... ببصيرة نفَذَت وفكر سامي
(بنوا) لقد أبليت في حرب الهوى ... حسنا وما باليت باللوام
ونصرت في باريس دين محمد ... بصراحة برئت من الإبهام
الدين إذعان لرب واحد ... سبحانه هو غافر الآثام
ولكل قوم شرعة مسلوكة ... والأنبياء أدلة الأقوام
فمحمد من بعد عيسى في الهدى ... من بعد موسى هم ذوو أرحام
لكن محترفي الديانة حرفوا ... أحكامها ومسيطري الحكام
إسلام (بنوا) حجة قامت على ... أسرى العقول مضللي الأفهام
المسلمين الساخرين بدينهم ... تبعًا لمن كفروا من الأعجام
الساقطين هوى على شهواتهم ... صرعى كمن عكفوا على الأصنام
لو أنهم فحصوا الأدلة لاهتدوا ... في بحثهم لفواصل الأحكام

إنه الإسلام هوية البشر في القرآن.. من أجل ذلك كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنِي بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ» "رواه الطبراني في الأوسط (٦٦١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣٨٤): "رجاله ثقات"، وأورده الألباني في الصحيحة (١٨٢٣)".

والحمد لله رب العالمين

وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com